تحولات وأشكال تكيف المجالات الريفية بالمغرب

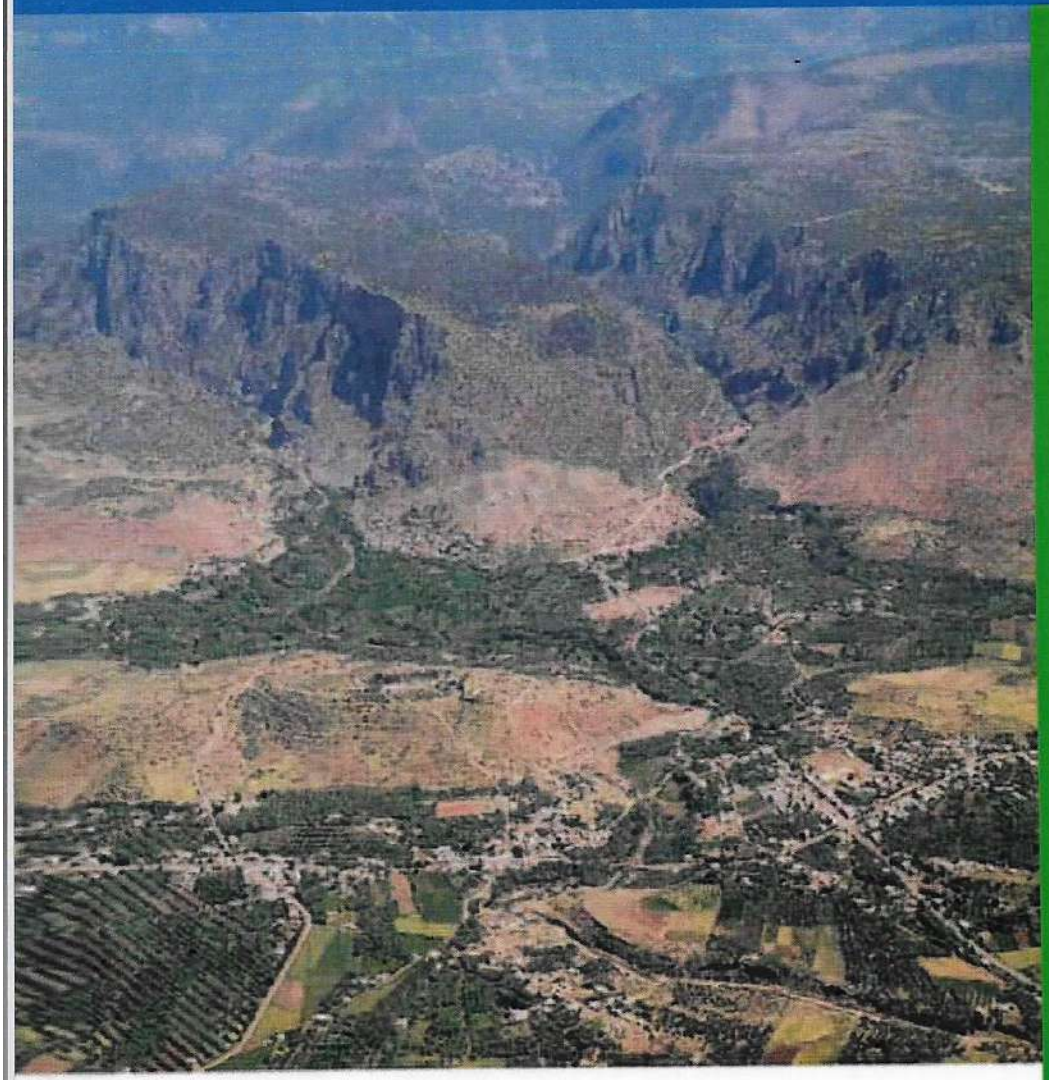

تكريما للأستاذ
محمد آيت حمزة
و
تخليدا للذكرى الستين
لتأسيس جامعة
محمد الخامس بالرباط

تنسيق
عبد الكريم مرزوق موسى كرزازي
و
أسماء بوعوينات محمد الأسعد

2022

الجزء الأول

تحولات وأشكال تكيف المجالات الريفية بالمغرب

تكريما للأستاذ محمد آيت حمزة

وتخليدا للذكرى الستين لتأسيس جامعة محمد الخامس بالرباط

تنسيق

عبد الكريم مرزوق – موسى كرزازي - أسماء بوعوينات
و
محمد الأسعد

2022

الكتاب: تحولات وأشكال تكيف المجالات الريفية بالمغرب

المؤلفون: كتاب جماعي.

تنسيق: عبد الكريم مرزوق، موسى كرزازي، أسماء بوعوينات ومحمد الأسعد

تصميم الغلاف: محمد آيت حمزة

صورة الغلاف: أندري هامبر (الأطلس الصغير، 2010)

الناشر: كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة الأخوين، إفران

طبع ونشر: مؤسسة مقاربات 2022

العنوان: ص. ب. 2997، البريد المركزي – فاس– المملكة المغربية.

الهاتف:651288089 /535736164 (00212)

البريد الالكتروني: mokarabt@gmail.com

الإيداع القانوني:2021MO4831

ردمك: 978-9920-568-44-9

كل الحقوق محفوظة للناشر

أعضاء اللجنة العلمية

- إسماعيل العلوي
- موسى كرزازي
- محمد آيت حمزة
- عبد الكريم مرزوق
- محمد الطيلسان
- ابراهيم أقديم
- علي بنطالب
- هربيرت پوپ
- إدريس شحو
- ميلود شاكر
- محمد الأسعد
- حسن امباركي
- أسماء بوعوينات
- محمد حنزاز

أعضاء لجنة القراءة

- مرزوق عبد الكريم
- إدريس شحو
- ميلود شاكر
- حسن امباركي
- محمد حنزاز
- حسن رامو
- عبد النور صديق
- موسى كرزازي
- محمد آيت حمزة
- أسماء بوعوينات
- محمد الأسعد
- عبد المجيد السحنوني
- محمد ازهار
- عبد المجيد السامي
- عزيز بنطالب

فهرس

كلمة شكـر 10
رسالة شكر وامتنان للأستاذ المكرم (محمد آيت حمزة) 11
توطئــة 13
تقـديم 18

المحور الأول:

الواحات، تراث طبيعي حضاري في مواجهة التحديات

المؤسسات التقليدية والتراث الحضاري المعماري بالمغرب: تجديد وتثمين..... 23
موسى كرزازي

الواحات المغربية في مواجهة تحدي التغير المناخي: المظاهر والانعكاسات وتدابير التأقلم: حالة واحات درعة وتافيلالت 53
عبد العزيز باحو

حصيلة تدخل الدولة في إعداد التراب والتنمية المحلية بواحة تافيلالت 83
أحمد الشرقاوي

الأنظمة المائية وأشكال التكيف بواحات ميسور بملوية الوسطى 123
محمد أزهار –الطيب بومعزة –محمد الخباز

التحولات الاقتصادية والمجالية بالأوساط الواحية حالة ' محاميد الغزلان'.....143
عبد اللطيف الخليفي– أحمد أيت موسى– عزيز لبيهي

البنيات التقليدية في زمن العولمة بواحات درعة الأوسط. أي تأثير؟ 163
اوحدو عبد الحميد؛ بلقاسم عبد الحكيم؛ الحسن ودار

الممارسات الجيدة للحفاظ على الموروث الواحي بتودغة: مشروع واحة النخيل الجديدة لجمعية أفانور للتنمية (الجنوب الشرقي للأطلس الكبير الأوسط).....183
محمد نعيم –مصطفى عبد الشافق– امحمد أبو علا

المحور الثاني:
الجبال المغربية بين المخاطر البيئية ورهانات التنمية الترابية

مقاربة البيئة البشرية بكوص أزرو دراسة حالة قبيلة إيركلاون 207
ادريس شحو

"الجماعة التقليدية" بالأطلس الكبير والدور الممكن في التنمية الترابية.....237
موسى المالكي– حسن المباركي

تحول أنظمة الإنتاج المحلية بالمجالات الجبلية: حالة حوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي 263
مولاي الحسن الفارسي

تعبئة المياه لأجل الري بين التجديد ومراهنات تنمية المجالات الجبلية: حالة سد ابي العباس السبتي على وادي المال (إقليم شيشاوة).....285
حسن المباركي

المحور الثالث:
الانتشار الصناعي وديناميةالمشاهد الزراعية بالمجالات الريفية

قرارات الفلاحين في الأنظمة الزراعية وعلاقتها بتمثل التغايرية المناخية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب. حالة الوحدة الزراعية – الإيكولوجية "دكالة –عبدة". دراسة في الإيكولوجيا الثقافية 319
محمد الأسعد – وفاء كامل

ديناميةالمشاهد الزراعية وتحول طرق وتقنيات الري بالبحيرة الوسطى.....345
نصر الدين عدوق، عمر العروسي، محمد ياسن سايح

الانتشار الصناعي وتأثيره في النشاط الفلاحي بإقليم برشيد.....363
بشرى حساني – عبد الوهاب صديق

المحور الرابع:
ضواحي المدن ومظاهر التكيف

ضاحية مدينة وجدة: التحولات ومظاهر التكيف.....383
عبد الحفيظ حميمي – علال زروالي

ممارسة الأنشطة غير الفلاحية، شكل من أشكال التكيف بالعالم القروي حالة جماعة أولاد سلامة –إقليم القنيطرة– 405
امحمد بودواح ، عادل الصافي وبشرى الخبوس

ملف التكـــريم
شهادات في حق المحتفى به الأستاذ محمد آيت حمزة

ذ. عبد الكريم مرزوق

ذ. إدريس الفاسي

ذ. ابراهيم أقديم

ذ. عبد الرحمان العثماني

ذ. موسى المالكي

الانتشار الصناعي وتأثيره في النشاط الفلاحي بإقليم برشيد

بشرى حساني* عبد الوهاب صديق**

ملخص

نظرا للضغط الكبير على الاراضي الزراعية وكثافة استعمالها لأغراض غير فلاحية، أصبحت الفلاحة الحوزية مهددة بالزوال، مما أدى إلى تفكيك بنيات ونظم إنتاج الاقتصاد الريفي. كما ان انتشار المنشآت الصناعية بأحواز المدن قد أحدث تغيرات اقتصادية واجتماعية مهمة، إضافة إلى تبديد أو قضم مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية.

نتوخى من خلال هذا المقال، مقاربة انعكاسات التمدين ورسم معالمه بإقليم برشيد – وخاصة ما يتعلق بانعكاس الانتشار الصناعي على الفلاحة، من خلال الوقوف على طبيعة المشاريع الصناعية المرخص لها، وما نتج عنها من تحولات اقتصادية واجتماعية، باعتمادنا على نتائج استطلاع ميداني.

الكلمات المفاتيح: الفلاحة الحوزية – الانتشار الصناعي – التمدين – التحولات الاقتصادية والاجتماعية – برشيد.

Résumé

A travers cette intervention, nous allons essayer d'approcher les transformations que connaît l'agriculture dans la périphérie des villes suite à l'influence de celles-ci.

Il est évident que la grande pression exercée sur les propriétés agricoles, par l'avancement aveugle de l'urbanisation et la localisation

* استاذة باحثة بالكلية المتعددة التخصصات خريبكة.

** استاذ الثانوي التأهيلي ودكتور في الجغرافيا.

des zones économiques dans les périphéries des villes, menace l'existence des activités agricoles dans ces espaces.
De cela vient l'importance de l'évaluation de l'impact des projets urbains sur l'agriculture, ainsi que l'influence de ces mutations sur le niveau socioéconomique.

Mots clés : agriculture périurbaine – mutation économique et sociale - urbanisation -Berrechid - prolifération industrielle.

مقدمة

تشهد أحواز مدينة الدار البيضاء تحولات مجالية مهمة، تتجلى بالأساس في تراجع الوظيفة الفلاحية التي تعد السمة الأساسية المميزة لهذا المجال، والتوجه في المقابل نحو التمدين والأنشطة المرافقة له، حيث تعاني من زحف العمران الذي يلتهم أراضي ذات قدرة عالية على الإنتاج الزراعي، مما يهدد بزوالها، نظرا لهول الضغط الذي يقع عليها وفتحها لإقامة مساكن أو أنشطة اقتصادية أخرى.

ومن ثم، فإن البحث في تحولات الأرياف المتاخمة للمدن الكبرى أو القريبة منها يكتسي أهمية بالغة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والمجالية. ويتجسد مضمون هذه التحولات عبر مختلف الأوجه التي تنجم عن العلاقة القائمة بين التمدين والفلاحة.

نهدف من خلال هذا المقال، دراسة بعض أوجه هذه العلاقة بإقليم برشيد المحدث أخيرا بجهة الشاوية ورديغة سابقا، وينتمي حاليا لجهة الدر البيضاء –سطات. يتكون الإقليم من ست بلديات وست عشرة جماعة قروية (الخريطة 1 و2). تقدر المساحته الصالحة للزراعة بها بنحو 203000 هكتار، أي ما يعادل 3% من المساحة الوطنية الصالحة للزراعة، مما يجعلها توفر 13.25% من الإنتاج الفلاحي الوطني.

خريطة:1 توطين إقليم برشيد ضمن جهة الدار البيضاء – سطات

خريطة 2: التقسيم الإداري لإقليم برشيد

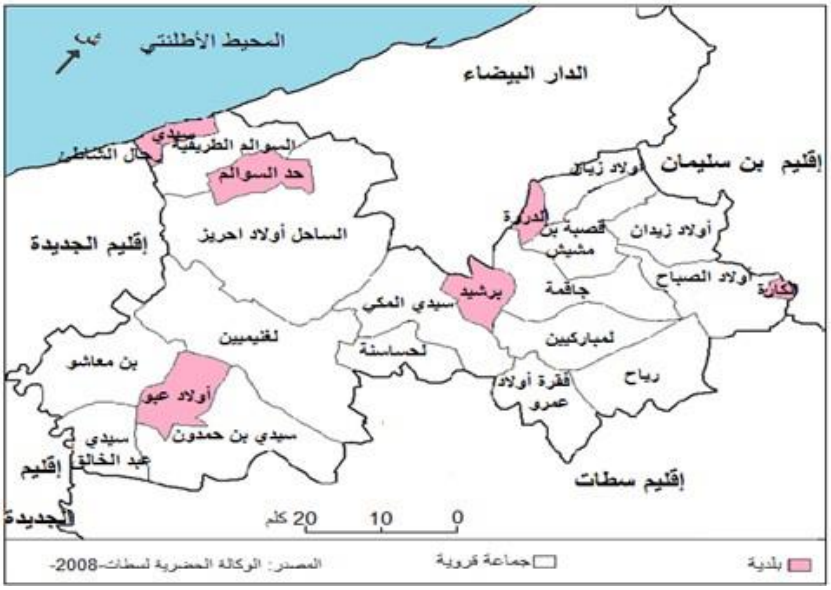

سنحاول دراسة أثر التمدين على الأنشطة الاقتصادية المزاولة من طرف الفلاحين بإقليم برشيد، انطلاقا من السؤال الاشكالي التالي: كيف يؤثر التمدين في البنية الاقتصادية والاجتماعية بإقليم برشيد؟

للإجابة عن الاشكالية المطروحة وضعنا الفرضيتين التاليتين:

الفرضية الأولى: يؤدي توطن وحدات الإنتاج الصناعي إلى تعزيز النشاط الصناعي بإقليم برشيد.

الفرضية الثانية: تعتبر الأنشطة الإضافية الممارسة من طرف المزارعين، بموازاة الفلاحة، من أهم مظاهر تأثير التمدين بالإقليم.

للوقوف على الانتشار الصناعي الذي يشهده إقليم برشيد، عملنا على جرد رخص البناء المسلمة من طرف المصلحة التقنية، للفترة الممتدة ما بين 2001 و2015، بينما كثفنا العمل الميداني معتمدين على استمارة دقيقة مفصلة للإحاطة بأوجه تفاعل المجال الفلاحي مع محيطه الحضري. حيث هم الاستقصاء الميداني 8 جماعات قروية كوحدات ترابية ملائمة لمقاربة الحيازات الفلاحية ودراستها بشكل مقارن. إذ تم اختيار عينة عشوائية، مؤلفة من 537 حيازة، أي ما يعادل 7% من مجموع الحيازات الفلاحية المقدرة بنحو 7665وحدة إنتاج بهذه الجماعات.

أولا- ساهم توطن وحدات الإنتاج الصناعي بإقليم برشيد في تعزيز النسيج الصناعي وخلق دينامية مجالية

أصبح إقليم برشيد مجالا لاستقطاب مستثمرين في قطاع الصناعة مستفيدين من عدة امتيازات، كانخفاض أسعار العقار، مقارنة مع مدينة الدار البيضاء، وبنية تحتية مهمة من الطرق التي تربط المنطقة بمختلف الجهات، ثم توفر يد عاملة محلية. لذلك فإن الاقليم عرف في السنوات الأخيرة تشييد مجموعة من المعامل الصناعية التي توطنت بشكل متفاوت عبر الرقعة الترابية لهذا لإقليم. وقد ساهم ذلك في تعزيز النسيج الصناعي وتحريك عملية الإنتاج. وبالتالي خلق العديد من فرص الشغل.

1.1ـ تعزيز النشاط الصناعي بإقليم برشيد

شهد مجال البحث في العقود الأخيرة توطين مجموعة من المشاريع الصناعية همت مختلف المجالات، إذ يتواجد بالإقليم حوالي387 وحدة صناعية (جدول رقم 1) تشغل حوالي 1695عاملا.

	الجماعات	الوحدات الصناعية المتواجدة بإقليم برشيد	
		عدد الوحدات الصناعية	(%)
الظرف الساحلي	الساحل أولاد احريز	83	39.7
	سيدي رحال الشاطىء	2	1
	السوانٍ الطريفية	19	9
	حد السوانٍ	105	50.3
	المجموع	209	**100**
الظرف الداخلي	الدروة	4	2.2
	بخاتمة	18	10.1
	تصبة بن مشيش	5	2.8
	خمامسة	2	1.1
	لمبالكيين	11	6.2
	أولاد زيدان	6	3.4
	رياح	5	2.8
	سيدي لمكي	22	12.3
	زاوية سيدي بن حمدون	1	0.6
	معاشو	1	0.6
	أولاد الصباح	5	2.8
	برشيد	90	50.6
	الكارة	3	1.7
	أولاد زيان	5	2.8
	المجموع	178	**100**
الظرفان	الساحلي	209	54
	الداخلي	178	46
	المجموع	387	**100**

جدول **رقم 1**: **توزيع الوحدات الصناعية المتواجدة بإقليم برشيد إلى حدود 2015 حسب الجماعات**

المصدر: الوكالة الحضرية (2017)

يعرف المجال استقطابا مهما للوحدات الصناعية، حيث عملت المصالح التقنية على سبيل المثال خلال الفترة الممتدة ما بين 2001 و2013 على الترخيص ل 162 وحدة صناعية أقيمت على مساحة 203.4 هكتار (الجدول رقم2).

يتفاوت توزيع المنشآت الصناعية بين طرفي الإقليم[1]، إذ حاز طرفه الساحلي على نسبة جد هامة من المشاريع بلغت 62,3%، في حين لم يتجاوز نصيب الطرف الداخلي 37,7%.

جدول **رقم 2: توزيع الوحدات الصناعية المرخص ببنائها بإقليم برشيد ما بين 2001و2013 حسب نوع الترخيص والجماعات**

	الجماعات	الوحدات الصناعية المرخص لها			المشاريع الاستثنائية		
		عدد الوحدات الصناعية	(%)	المساحة (هـ)	عدد المشاريع الاستثنائية	(%)	المساحة (هـ)
الطرف الساحلي	الساحل أولاد احريز	83	82.2	52.9	50	57.5	611.5
	سيدي رحال الشاطئ	1	0.9	2	-	-	-
	السوالم	17	16.9	6.1	37	42.5	203.3
	المجموع	101	100	61	87	100	814.8
الطرف الداخلي	الدروة	4	6.6	2.2	32	28.6	206.5
	الجاقمة	3	4.9	4.9	-	-	-
	قصبة بن مشيش	5	8.2	2.4	-	-	-
	لحسابنة	2	3.3	0.1	-	-	-
	لمباركيين	11	18.1	13.3	11	9.8	56.2
	أولاد زيدان	6	9.8	26.1	-	-	-
	رياح	5	8.2	4.3	37	42.5	203.3
	سيدي المكي	22	36.1	82.1	33	29.5	217.1
	زاوية سيدي بن حمدون	1	1.6	6.5	-	-	-
	معاشو	1	1.6	-	-	-	-
	أولاد الصباح	1	1.6	0.5	-	-	-
	برشيد	-	-	-	32	28.6	198
	المجموع	61	100	142.4	112	100	694.2
الطرفان	**الساحلي**	**101**	62.3	**61**	**87**	43,8	**814.8**
	الداخلي	**61**	37.7	**142.4**	**112**	56,2	**694.2**
	المجموع	162	100	203.4	199	100	**1509**

المصدر: الوكالة الحضرية سطات (2013)

وقد بلغت المساحة الإجمالية التي شملتها المشاريع الصناعية حوالي 203,4 هكتار. كما عملت المصالح التقنية بالإقليم خلال الفترة ما بين 2005 و2013 على تقديم مجموعة من المشاريع الاستثنائية لإقامة 199 وحدة صناعية بمختلف الجماعات المؤلفة للإقليم، بتوظيف رصيد عقاري

[1] تم التركيز في المقاربة المجالية على التمييز بين الجماعات الموجودة بالطرف الساحلي التي تعرف حركة تمدين مهمة، وبين بعض الجماعات القروية بالطرف الداخلي التي لا تسير بنفس الوتيرة.

بلغ نحو 1509 هكتار، وتتوزع بشكل متباين على المجال، إذ وصل عدد المشاريع الاستثنائية بالطرف الساحلي 87 وحدة إنتاجية تتركز معظمها بالساحل أولاد احريز التي نالت 50 وحدة بلغت مساحتها 611,5 هكتار، في حين بلغ عددها بالسوالم 37 وحدة، أقيمت على نحو 203,3 هكتار. أما بالطرف الداخلي فقد ناهز عدد المشاريع الاستثنائية المرخص لها 112 وحدة، أقيمت على مساحة 694.2 هكتار من الأراضي الزراعية. والجدير بالذكر أن هذه المشاريع التي تتم خارج المجالات المغطاة بوثائق التعمير (المشاريع الاستثنائية)، ساهمت في استهلاك مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية، فاقت تلك التي شملتها تصاميم التهيئة.

عموما فقد نال هذا الإقليم اهتماما كبيرا في السياسة الصناعية من خلال مخططات التهيئة، حيث تم إنشاء منطقتين صناعيتين بكل من بلدية برشيد والساحل أولاد احريز (بضم الخيايطة السابقة). وعرفت هذه المناطق في السنوات الأخيرة استثمارات كبيرة ونموا واضحا ساهم في تدعيم النسيج الصناعي، وتحريك عملية الإنتاج.

صورة 1 مصنع علف الساحل بحد السوالم (15/12/2013)

صورة 2 مصنع لافارج بالساحل أولاد (2013/8/7)

خريطة :3 أهمية المشاريع الصناعية المرخص لها بالإقليم خلال الفترة الممتدة ما بين 2001 و2013

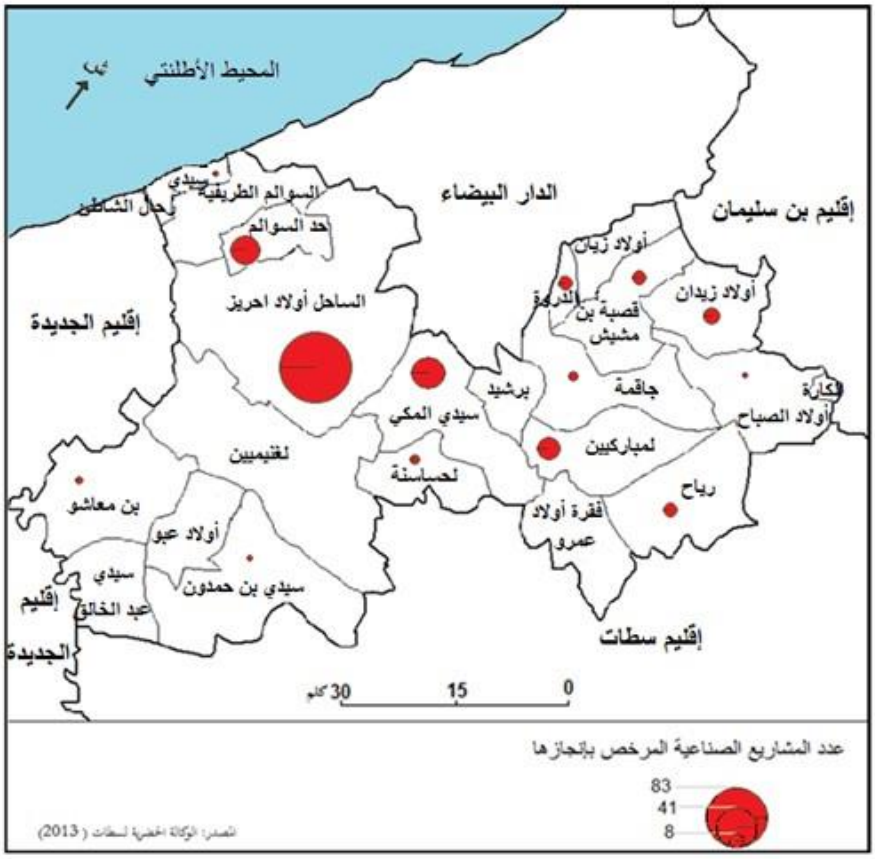

2.1 ـ ساهمت حركة التصنيع في خلق دينامية مجالية

ساهم انتشار النشاط الصناعي في ظهور حركية مجالية، تبرز أهميتها في حجم التنقلات اليومية من أجل العمل بين الجماعات القروية، فيما بينها من جهة، وبينها وبين المدن المجاورة من جهة أخرى، خاصة مدينة برشيد.

وقد استخلصنا من التحقيق الميداني أن هناك حركية متباينة الأهمية بين الجماعات المدروسة (خريطة رقم4):

– فجماعة الساحل أولاد حريز تستحوذ على (34,9%) من مجموع المشتغلين بالقطاع الصناعي، معظمهم يعملون بعين المكان. أما بالنسبة لحجم الحركية باتجاه مدينة برشيد فتبقى ضعيفة، حيث لا تتعدى 5,7%، وهذا راجع لتوفر الجماعة على منطقة صناعية.

– كما تبين أن نصف المشتغلين بالصناعة بجماعة السوالم الطريفية يعملون بالساحل أولاد احريز، والنصف الثاني بمدينة برشيد، وذلك بفضل قرب المجال من المنطقة الصناعية بالساحل أولاد احريز، وكذا سهولة المواصلات.

– ضعف حركية اليد العاملة الصناعية باتجاه الدار البيضاء، إذ لا تتعدى 1,9%.

– أما بخصوص باقي الجماعات القروية، فتحتل مدينة برشيد المرتبة الأولى بالنسبة لحجم حركة العمال المتوجهين نحوها، بنسبة 20,4%، وهذا راجع لعامل القرب وتوفر المواصلات.

من خلال دراسة حركية السكان من أجل العمل، نسجل أكثر من58%من المشتغلين يعملون بنفس الجماعة، والنسبة الباقية تتنقل في مختلف الاتجاهات، منها مدينة برشيد بنسبة 30,1% وجماعة الساحل أولاد احريز بنسبة 9,7%.

1 .3. ـ ساهم التمدين والنشاط الفلاحي في تطور ظاهرة الاستقطاب البشري

يعد الانفجار الحضري الذي يشهده إقليم برشيد من العوامل المساعدة على جذب تيارات توافد السكان، حيث تنجذب هذه التيارات نحو ثلاث مناطق استقطاب رئيسية، وهي: الساحل أولاد احريز، جاقمة، والسوالم الطريفية.

وتكمن الأسباب، عموما، وراء هذا التوافد في البحث عن ظروف معيشية أفضل وعن الاستقرار. حيث أوضحت المعطيات الميدانية أن العوامل الاقتصادية ما زالت تحتل مكانة مهمة بين عوامل جاذبة هذا المجال. فقد عبر97% من أفراد العينة، خصوصا المتوافدين من المناطق القروية، أن سبب قدومهم هو البحث عن العمل. وتعتبر الحيازة الفلاحية من محددات الهجرة، إذ قلما لا يملك المهاجرون القرويون، أراضي زراعية، وهو ما عبر عنه 2,5% من المستجوبين، زيادة على تراجع مداخيلهم.

خريطة: 4 التراقص اليومي لليد العاملة الصناعية من أجل العمل بإقليم برشيد

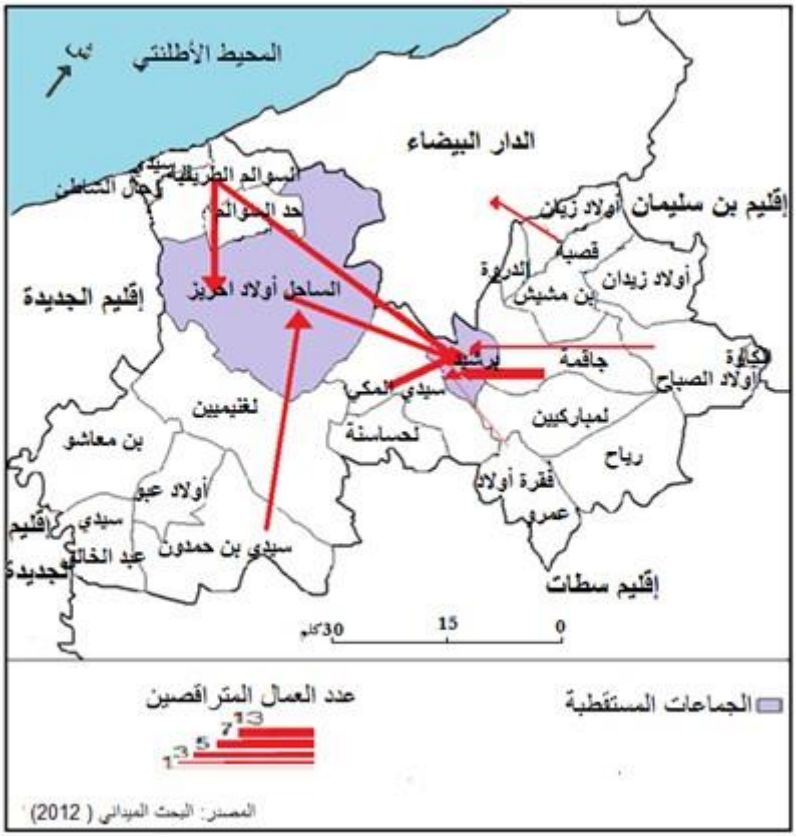

يشكل التوافد السكاني المتزايد على الجماعات المدروسة، سواء كان من الأرياف أو من المدن، أحد أهم مظاهر وعوامل التحول الذي يشهده الإقليم، فهو يساهم في إحداث تغيير ديمغرافي، كما يؤثر في الأنشطة الممارسة من طرف الساكنة. فمع تزايد توافد السكان، تتراجع نسبة السكان المزاولين للأنشطة الفلاحية، وترتفع نسب الممارسين لمهن أخرى، وينشط التراقص اليومي من أجل العمل، مما يؤدي إلى تقوية العلاقات بين المدينة والمناطق المحاذية لها على المستويين الوظيفي والاجتماعي، ويؤدي أيضا إلى خلق دينامكية شاملة للمجال.

ثانيا ـ انعكاسات التمدين على الفلاحة عمق من مشاكل القطاع الفلاحي بإقليم برشيد

ساهم انتشار التمدين بإقليم برشيد في تبديد مساحات مهمة من الأراضي الزراعية، وقد لا يشكل تقلص أبعاد المجال الفلاحي سوى مظهرا خارجيا لمفعول التأثير الحضري، إذ تعرف الرساتيق الزراعية تحولات باطنية تتمثل في التغير التدريجي لاستعمالات الأراضي الفلاحية.

1.2. تقلص المجال الفلاحي

عرف إقليم برشيد دينامية حضرية غير مسبوقة، فنظرا للطلب الكبير على العقار، برمجت مشاريع طموحة تتعلق بإنجاز السكن أو المرافق والمنشآت الصناعية فوق الأراضي الزراعية، الشيء الذي أدى إلى تبديد مساحات لا يمكن استدراكها، إذ تم تحويل 21970هـ من طابعها الفلاحي إلى استعمالات أخرى، وبرمجت مساحة تقدر بحوالي 8125هـ للتعمير المستقبلي.

والملاحظ هو أن عملية اقتطاع الأراضي الزراعية الخصبة لم تقتصر على البلديات والمراكز الحضرية، بل شملت العديد من الجماعات القروية التي حظيت بتصاميم النمو والتهيئة، مما سيؤدي إلى تبديد حوالي 1546 هكتارا. والنتيجة انتشار ظاهرة تغيير طبيعة الأراضي التي تتحول من أراضي فلاحية إلى مساحات مبنية. ولهذه الظاهرة آثار سلبية عديدة، منها استهلاك المجالات الفلاحية وهدر الموارد الطبيعية، مما يدل على أن أهم مشكل تعاني منه الفلاحة هو الضغط على العقار الزراعي، إذ أصبحت الأنشطة الفلاحية الممارسة مهددة بالزوال. فالمجال يمكن اعتباره ثروة نادرة ومعرضة للزوال بسبب الزحف العمراني، وعليه فقد وجبت حمايته.

2.2. تراجع مكانة العمل الفلاحي الاجتماعية (شغور التركة)

ساهم انتشار التمدين وتزايد الطلب على المواد الفلاحية في تحفيز العديد من المزارعين للبحث على تحصيل أكبر قدر ممكن من الأرباح عبر تكثيف الإنتاج الزراعي، ودفع بمزارعين آخرين لتحويل أراضيهم إلى الاستخدام السكني والتجاري والصناعي، وهي أمور ساهمت في ضياع جزء كبير من الأراضي وخروجها من دائرة الإنتاج.

فالنزعة الاستهلاكية أدت إلى تدهور قيمة العمل المتاح، خاصة لدى الشباب الذي بات يسعى لتحقيق الأرباح من المصادر السهلة، وغدا القطاع الصناعي، الذي أصبحت تنتشر وحداته الإنتاجية بشكل كبير، يوظف أعدادا ضخمة من القوى العاملة، فقل المقبلون على زراعة الأراضي الزراعية التي يغزوها التمدين يوما بعد يوم، وساهم ذلك في العزوف عن الزراعة وازدرائها كظاهرة عامة لدى معظم سكان الإقليم. حيث أصبحوا يعتمدون على الرواتب الشهرية التي يوفرها القطاع الصناعي كبديل مفضل. وأصبحت الزراعة مهنة منبوذة، لأن مداخلها لا تسمن ولا تغني من جوع.

أدى انتشار التصنيع إلى تغيرات واضحة على البنية الاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقل العديد من الأفراد من العمل الزراعي إلى العمل في الصناعات المختلفة، سواء بالمدن أو المناطق الصناعية المجاورة لها. وارتبط بهذا التحول الوظيفي رغبة اليد العاملة في الاستفادة من فرص العمل المنتظم والأجر المستقر وتحسن ظروف العمل في الوظائف الجديدة؛ علما بأن معظم فرص الشغل الصناعية، قلما تتاح بشكل دائم، لغير المتخصصين.

عموما، يبقى الحديث عن وظيفة صناعية بإقليم برشيد سابقا لأوانه، لأنه لم يرق بعد إلى مستوى الأحواز المحيطة والمحاذية لمدينة الدار البيضاء، حيث يسابق، هنا، التطور الصناعي التطور العمراني.

3.2. الأنشطة الإضافية مظهر من مظاهر تأثير التمدين بالإقليم

أ– أهمية ممارسة الفلاحين لأنشطة إضافية بإقليم برشيد

تعتبر الأنشطة الإضافية الممارسة من طرف المزارعين، بموازاة الفلاحة، من أهم مظاهر تأثير التمدين بالإقليم. وللوقوف على أهمية العمل الممارس خارج الحيازة الفلاحية، نعتمد على معطيات الجدول رقم:3

الجدول 3: توزيع الفلاحين حسب نوع النشاط الممارس وحجم الحيازة

حجم الحيازة	الفلاحون المزاولون لأنشطة فلاحية فقط		الفلاحون المزاولون للأنشطة الموازية		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
[0-5[	181	56.7	132	70.6	313	61.9
[5-10[	88	27.6	35	18.7	123	24.3
[10-15[	23	7.2	14	7.5	37	7.3
[15-20[	19	6	5	2.7	24	4.7
[20-50[	8	2.5	1	0.5	9	1.8
المجموع	**319**	**100**	**187**	**100**	**506**	**100**

المصدر: البحث الميداني (2012)

تعتبر الأنشطة الموازية من أهم مظاهر تأثير التمدين بالإقليم، وتهم حوالي36,9% من مجموع المستغلين المبحوثين، في حين يقتصر حوالي 63 %على العمل بفلح الأرض وتربية الماشية. وهي نسبة تقارب ما أفضت إليه نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، حيث قدرت نسبة المزاولين للأنشطة الإضافية 48,8% من مجموع ساكنة الإقليم.

تتيح معطيات الجدول 3 إقامة علاقة بين حجم الحيازة الفلاحية وممارسة عمل إضافي خارجها، فنحو 70,6% من المستغلين الزراعيين الممارسين لأنشطة إضافية غير فلاحية تقل حيازتهم عن 5 هكتارات، الشيء الذي يؤكد أن العمل الإضافي يشكل أفضل وسيلة لتحسين مداخيل الفلاح. فضعف الموارد الزراعية بالحيازات الصغرى يدفع مستغليها إلى تكثيف جهودهم للبحث عن موارد إضافية.

أما الصنف الثاني من المزارعين الممارسين لأنشطة إضافية، فتنحصر حيازاتهم بين 5 و10 هكتارات، ويمثلون حوالي 18,7 %من مجموع المستغلين ذوي النشاط المزدوج.

عموما، يلاحظ أن تسعة أعشار (89,3%) من المستغلين الزراعيين الممارسين لنشاط غير فلاحي تقل مساحة أراضيهم عن 10 هكتارات، مما يدل على وجود علاقة وثيقة بين حجم الحيازات وازدواجية نشاط مستغليها، إذ يشكل الشغل غير الفلاحي موردا لا يستهان به بالحيازات التي تقل عن 10هـ.

ب. طبيعة الأنشطة الإضافية الممارسة خارج الحيازات الفلاحية

من خلال تصنيف المهن الإضافية الممارسة من طرف الفلاحين تظهر أهمية قطاع الخدمات ب 46%، تليه التجارة 30,5%، ثم القطاع الصناعي بحوالي 22%. أما النشاط الحرفي، فضعيف الأهمية، بحيث لا يتجاوز1,6% (جدول رقم4).

جدول رقم 4: توزيع الفلاحين الممارسين لأنشطة إضافية حسب طبيعتها وحسب الجماعات القروية

الجماعات القروية	الخدمات		التجارة		الصناعة		الحرف		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الساحل أولاد	29	47,5	9	14,8	22	36,1	1	1,6	61	100
السوالم الطريفية	7	53,8	2	15,4	4	30,8	-		13	100
سيدي المكي	7	35	8	40	5	25	-	-	20	100
أولاد زيان	7	38,8	9	50	1	5,6	1	5,6	18	100
أولا الصباح	19	55,9	15	44,1	-	-	-	-	34	100
فقرة أولاد عمرو	7	53,8	5	38,5	-	-	1	7,7	13	100
زاوية سيدي بن	7	41,2	5	29,4	5	29,4	-	-	17	100
الجاقمة	3	27,2	4	36,4	4	36,4	-		11	100
المجموع	**86**	**46**	**57**	**30,5**	**41**	**21,9**	**3**	**1,6**	**187**	**100**

المصدر: البحث الميداني (2012)

تتوزع هذه الأنشطة بشكل متباين بين الجماعات القروية المكونة لإقليم برشيد، إذ تحتل الخدمات مكانة متميزة بكل من جماعتي أولاد الصباح (55,9%) وفقرة أولاد عمرو (53,8%)، في حين تتميز جماعتا الساحل أولاد احريز والسوالم الطريفية بأهمية الفلاحين الممارسين للنشاط الصناعي، إذ تبلغ على التوالي36,1 % و30,8%؛ وتتسم جماعة وأولاد زيان بأهمية الممارسين للتجارة إذ تبلغ نسبتهم 50%.

من خلال دراسة طبيعة الأنشطة التكميلية، يتضح جانب مهم من تأثير التمدين في الفلاحة، سواء تعلق الأمر بعدد فرص الشغل المتوفرة بالمدار الحضري، أو حجم الأنشطة الاقتصادية التي أصبحت تعرف انتشارا واسعا بالمجال الفلاحي.

ج- أنشطة أبناء المشتغلين

نتوخى من دراسة الأنشطة الاقتصادية الممارسة من طرف أبناء الفلاحين تقييم درجة ارتباط أبناء الفلاحين بتفليح الأرض (جدول رقم5).

جدول رقم5: توزيع الأنشطة غير الفلاحية الممارسة من طرف أبناء الفلاحين

الجماعات		الفلاحة		الصناعة		الخدمات		التجارة		الوظيفة العمومية	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الطرف	الساحل أولاد احريز	205	91,9	31	75,6	53	75,7	25	78,1	3	60
	السوالم الطريفية	18	8,1	10	24,4	17	24,3	7	21,9	2	40
مجموع الطرف الغربي		223	100	41	100	70	100	32	100	5	100
الطرف	سيدي المكي	40	7,8	5	22,8	18	12,2	12	19,1	-	-
	الجاقمة	58	11,4	9	40,9	20	13,5	14	22,2	1	100
الداخلي	أولاد زيان	67	13,2	4	18,2	13	8,8	5	7,9	-	
	فقرة أولاد عمرو	89	17,5	1	4,5	41	27,7	9	14,3	-	-
	زاوية سيدي بن حمدون	135	26,5	1	4,5	27	18,2	13	20,6	-	-
	أولاد الصباح	120	23,6	2	9,1	29	19,6	10	15,9	-	-
مجموع الطرف الداخلي		509	100	22	100	148	100	63	100	1	100
مجموع الطرفين		732	65,7	63	5,7	218	19,6	95	8,5	6	0,5

المصدر: البحث الميداني (2012)

فيما يخص طبيعة الأنشطة الممارسة من طرف أبناء المستغلين، يتضح من معطيات الجدول أن نسبة لا يستهان بها (65,7%) منهم يزاولون الفلاحة، إما كمصدر عون في استغلال الحيازات العائلية، أو كأجراء باستغلاليات الغير، غير أن هذه النسبة عرفت تراجعا مهما حسب نتائج الإحصاء العام لسكان والسكنى لسنة 2014 إذ اضحت لا تتجاوز20%، وتأتي الخدمات في المقام الثاني، بتوفيرها لنسبة 19,6% من فرص الشغل، ثم التجارة ب8,5%. أما الصناعة، فلا توفر سوى 5,7% من تلك الفرص، وتتركز خصوصا بالطرف الغربي، إذ تبلغ نسبة المشتغلين بها

حوالي11,1%، ويرجع ذلك لتوفر هاته الرقعة الترابية على منطقة صناعية بجماعة الساحل أولاد حريز.

جدول رقم6: توزيع أبناء الفلاحين المشتغلين حسب الجماعات وأماكن الاشتغال

الجماعات القروية	عين المكان		برشيد		الدار البيضاء		جماعة قروية أخرى		المجموع
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
الساحل أولاد احريز	310	29,6	6	13,6	1	12,5	-	-	317
السوالم الطريفية	41	3,9	5	11,4	1	12,5	7	46,7	54
سيدي المكي	60	5,7	15	34,1	-	-	-	-	75
الجاقمة	87	8,3	14	31,8	1	12,5	-	-	102
أولاد زيان	84	8	-	-	5	62,5	-	-	89
فقرة أولاد عمرو	139	13,3	1	2,3	-	-	-	-	140
زاوية سيدي بن حمدون	169	16,2	1	2,3	-		6	40	176
أولاد الصباح	157	15	2	4,5	-	-	2	13,3	161
المجموع	1047	100	44	100	8	100	15	100	1114

المصدر: البحث الميداني (2012)

إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقة بين طبيعة النشاط ومقر مزاولته (جدول رقم6)، يوفر المجال الفلاحي 95,4% من فرص الشغل لأبناء المستغليين الفلاحيين. تتوزع 65,7 % من الفرص على باقي فروع النشاط الاقتصادي غير الفلاحي، مما يدل على أهمية الانتشار الحضري عبر المجال الفلاحي. ولا تجذب مدينتا برشيد والدار البيضاء سوى4,6 %من أبناء الفلاحين المشتغلين، مع هيمنة الأولى على هذا التيار لقربها من أحوض التجميع.

من خلال دراستنا لأهمية العمل الإضافي خارج الحيازات الفلاحية بإقليم برشيد، اتضحت، جليا، نوع العلاقة الجدلية القائمة بين التمدين والفلاحة، والمتجلية في أهمية فرص العمل غير الفلاحية المتاحة بالإقليم، والدالة على كثافة توطن الأنشطة الاقتصادية نتيجة التوسع الحضري.

خاتمة

توصل البحث إلى نتائج كشفت عن مجموعة من التحولات التي شهدها إقليم برشيد وعما نجم عنها من تأثير مباشر على طبيعة الانشطة الاقتصادية المزاولة من طرف الفلاحين. وقد شكلت إجابات مباشرة عن الفرضيات التي انطلقنا منها وهي كما يلي:

الفرضية الأولى: توطن وحدات الإنتاج الصناعي بإقليم برشيد، أدى إلى تعزيز مكانته، حيث حاز على قسط مهم من الاستثمارات المخصصة للتصنيع في العقود الأخيرة، إذ أنشئت به منطقتين صناعيتين. وساعد القرب من مدينة الدار البيضاء والتوفر على بنية تحتية (شبكات الطرق، وغيرها من التجهيزات المهمة) على جلب المزيد من الاستثمارات الصناعية، الشيء الذي أدى إلى توفير مناصب الشغل، واستقطاب الآلاف من اليد العاملة المتراقصة بينه وبين المناطق المجاورة. وعليه تأكيد الفرضية الأولى

الفرضية الثانية: تعتبر الأنشطة الإضافية الممارسة من طرف المزارعين، بموازاة الفلاحة، من أهم مظاهر تأثير التمدين بالإقليم. حيث اتضح أن الفلاح يلجأ إلى مزاولة أنشطة إضافية خارج الحيازة وبموازاة العمل الفلاحي، لما يوفره ذلك من موارد داعمة ومكملة لمداخل الاستغلال الفلاحي، ومساعدة له على الصمود أمام التأثيرات الحضرية. حيث اتضح جانب مهم من تأثير التمدين في الفلاحة، سواء تعلق الأمر بعدد فرص الشغل الموفرة أو حجمها ونوعيتها.

يبقى التساؤل مستمرا حول آفاق استدامة الموارد الفلاحية والنشاط الفلاحي أمام زحف انتشار التمدين. وترتيبا على ما سلف، يجب السعي وبكل جدية إلى ضمان استدامة الأراضي الزراعية وذلك من خلال التحكم في النمو الحضري، وتوجيهه وعقلنته، وكذا تحسين المستوى المعيشي للفلاحين، وتحفيزهم على ممارسة الأنشطة الفلاحية، قصد تثبيتهم على أراضيهم، في أفق وضع حد للمضاربة بالأراضي الفلاحية.

قد لا تتحقق هذه الاقتراحات وغيرها بدون تنسيق مع الجهات المعنية، لتحسيسها بضرورة إيجاد حلول جذرية تضمن الحد من تقلص الأراضي الزراعية، وبالتالي استدامتها.

البيبليوغرافيا

- الأسعد محمد (2002)، إشكالية اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي–الزراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب –دراسة في الايكولوجية الثقافية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مرقونة.

– المباركي حسن وبوطيب الطاك (2005)، "المجالات الفلاحية بين التنظيم العفوي والتدبير المؤطر؛ بعض عناصر التفكير"، موسى كرزازي –المختار الأكحل(تنسيق)، دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص14–15.

– امدافعي محمد (2002)، التحولات المجالية ودور المؤسسات الجماعية في تدبير المجال: حالة ضاحية الدار البيضاء، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال (غير منشورة).

– الأكحل المختار (2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية، حالة هضبة بن سليمان، منشورات دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

– آيت حموسعيد (2006) تراتب المجال حول الدار البيضاء وانعكاسات تمدين أحوازها على الفلاحة، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا بكلية الآداب المحمدية (غير منشورة).

– بشرى حساني (2015) تحولات الفلاحة تحت تأثير التمدين بالشاوية السفلى حالة إقليم برشيد، أطروحة لنيل دكتوراه في الجغرافيا بكلية الآداب المحمدية (غير منشورة).

– تالحوت سالم (2012)، الأنشطة غير الفلاحية والتنمية الريفية بضاحية الدار البيضاء الكبرى، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط (غير منشورة).

– مدينة محمد (2007)، دينامية المجال الفلاحي بالشاوية السفلى، دراسة في إشكالية التحول والتنمية المحلية بأحواز الدار البيضاء، أطروحة دكتوراه الدولة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك– ص 347 (غير منشورة).

- Chélard, J.L & Charvet ; 2004, Géographie agricole et rurale, Paris, Bélin ,109

- Guibert, M. & Jean, Y. ; 2011, Dynamique des espaces ruraux dans le monde, Paris Géographie coll U, 64-65